الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

أبو حامد الغزالي... المسيرة العلمية معالم سيرة ذاتية ... أو حينما يكون سؤال المعرفة طريقا لمعرفة الذات

Abu Hamed el-Ghazali ... the Academic Career as a Landmark of Biography...When the Question of Knowledge Becomes a Pathway for Self-realization

Dr. Abdelkader BELALEM
Hassiba Benbouali Chlef University -Algeria-

د. عبدالقادر بلعالم
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف - الجزائر -
belalemabdelkader@yahoo.fr

ملخص

إن ما يميز موضوع "السيرة الذاتية" كما تم تخريجها وإخراجها من قبل الغزالي هو أنها لم تكن سردا لوقائع الحياة الاجتماعية المرتبطة بشخصه تأثيرا وتأثرا، كما أنها تكن محض توصيف لمجريات حركته الفكرية ووقائعها المعرفية، أي أنها لم تؤرخ للنشاط المعرفي للمؤلف. بل هي نتاج لسؤال محوري ملح، تبلور في أفق قلق وجودي كاد يفقد الذات وحدتها وتوازنها، وشوش على رؤيتها لوجودها ولمصيرها الذي كانت تبغي معانقته. قلق ولدته المعرفة السائدة التي رأى الغزالي في التسليم بها مطية للضلال، فانتصب في ذهنه سؤال "المنقذ من الضلال"؟ وإذا كان لا خلاص من الضلال إلا بالمعرفة، فما هو معيار المعرفة الحقة؟ وما طرق الوصول إليها؟ وكيف تتحول إلى منقذ من الضلال؟ وكيف يؤسس سؤال المعرفة إلى سؤال الوجود؟ أي كيف تكون لحظة اكتشاف الحقيقة طريقا إلى اكتشاف حقيقة الذات؟ أو كيف يستبطن المعطى المعرفي البعد السير ذاتي؟

فالسيرة الذاتية كما وردت في كتاب "المنقذ من الضلال"، هي جماع الجدل الوظيفي بين المعرفي والوجودي. أي أن موضوع "السيرة الذاتية" على مقياس أنموذج الغزالي؛ هو أن المعرفة وأسئلتها ليست موضوعا للتفكير، مطلوبا لذاته، وإنما هي أداة وآلية لتحريك الذات والتدرج بها صعودا إلى أفضل وجوداتها، وأسمى كمالاتها. فالغزالي بقدر ما يبني تصوراته ويسوق أفكاره، يقص معاناته ويعبر عن تجربته مع سؤال الحقيقة. ولذلك فكتابه "المنقذ من الضلال" يتجاوز كونه نصا معرفيا إلى ضرب من السيرة الذاتية، حاول فيه أن تفصح، أولا، عن تجربته الداخلية في خطها الفكري والروحاني مع سؤال الحقيقة. وأن يروي، ثانيا، تجربته الخارجية مع الفلاسفة والباطنية، وعلماء الكلام والصوفية.

الكلمات الدالة: المنقذ من الضلال، السرة الذاتية، الشك المنهجي، مشكلة اليقين، الطريقة الصوفية، رابطة التقليد.

Abstract

The significance El Ghazali's thought concerning "Biography", lies in that it is not merely a narration of factual events of an author's social life, as it is not but a description of his/her own thought and intellectual facts. That is, according to El Ghazali, "Biography" is not simply a record of an author's intellectual or social activity. In fact, it is the outcome of an essential questioning that was raised from an existentialist confusion and worry that threatened the balance of the "Self" and prevented it from recognising its searched-for existence. This confusion was resulted from El Ghazali's belief in that the submission to the already existing knowledge is the cause of ignorance. Based on that, El Ghazali went to search for the key to end this ignorance, the accurate, exact spectrum of knowledge being the key to end it. He further questioned the means by which he can find knowledge and how can it transform into the means to end ignorance? And finally, he wondered how come the question of knowledge leads to that of existence? That is, how come the moment of reaching "truth" be a journey to reach the "Self's Truth"? In other words, how come "biography" overlaps in knowledge?

Hence, relying on El Ghazali's perception of "Biography" in his book "El Munkedh Mina Dhalal" he considered "biography" a mechanism of developing the "Self" to ascend it to its best forms of existence. This is evident in his own biography in which, in addition to, promoting for his perceptions and ideas, he narrates his own intellectual struggle and experience of his journey towards uncovering the "truth". Thus, his work "El Munkedh Mina Dhalal" is not a narration of the social aspect of his life, however, it is a record of his intellectual and spiritual journey in addition to his experience with his fellow philosophers of Sufism.

Keywords: *Saver from delusion (Al Munkidh mina el Dhalal), biography, methodical doubt, certainty problem, Sufi modality.*

مقدمة

بين الشك كدافع ومنطلق، والحقيقة كمنتهى وأفق، شق الغزالي مسيرته العقلية، ورسم خطه المعرفي متبعا منهجا خاصا في التفكير، فتحرك على ضوئه متسائلا ومتقصيا عن الحقيقة وطرائق الوصول إليها، مبتغيا بذلك بلوغ اليقين.

وإذا كانت مؤلفاته تمثل مرجعيات تصورية، وأطرا نظرية لاستيعاب المعرفة التي تشكلت وتبلورت عبر مساره الفكري. فإن كتابه " المنقذ من الظلال " يفتك خصوصيته وتميزه من خلال كون متنه عبارة عن رسم تخطيطي (أو خريطة) للجغرافيا المعرفية التي تحرك تفكيره في دروبها ومساراتها، مترصدا الحقيقة، ومبتغيا الاقتراب منها على سبيل اليقين. ومساره الفكري وهو يتقدم باتجاه هذا الأفق منتجا اللحظة المعرفية تلو الأخرى؛ إنما يكشف عن صيرورة تشكل السيرة الذاتية، ويبرز ملامحها وتجلياتها.

إن ثمة إحداثيات ثلاث يرتكز عليها كتاب "المنقذ من الظلال" تحدد فرادته وتعزز خصوصيته وتميزه عن كتبه الأخرى وهي:

1ـ **الهاجس المعرفي بما هو مثير للقلق الوجودي** : إذ وراء اللحظات المعرفية في تدفقها وجريانها وتساوقها، تختفي التجربة الذاتية للمؤلف ويتردد صدى المعاناة والقلق النفسي المرتبط بها. والمتمثل في "أول أزمة نفسية للغزالي، ارتبطت بها أزمة الفكرية دامت شهرين، وهي جوهر ومدار حيثيات السيرة المدونة"[1].

. فثمة تساوق واطراد بين تقدم مسار البحث عن الحقيقة، وتدرج الذات الباحثة عنها في سلم إثراء تجاربها وتعميق خبراتها. فالغزالي، "يبدو مزاجا من علوم شتى أنضجها البحث، وصقلها التفكير، وأصفتها تجاربه وشكوكه القاسية التي عاناها في نشأته" [2]

2ـ **استبطان المعرفي لملامح التوجه السير ذاتي وسماته** : حيث إن طريقة عرض فصول وتفاصيل متن الكتاب، أضفت عليه طابعا قصصيا. فالغزالي بقدر ما يبني تصوراته ويسوق أفكاره، يقص معاناته ويعبر عن تجربته مع سؤال الحقيقة. مما يجعل كتاب "المنقذ من الضلال" مدونة لحفظ السيرة الذاتية. وما يغلب الطابع السّير الذاتي على المعرفي فيه؛ هو لجوء صاحبه إلى الأسلوب الخطابي بدل الكلام البرهاني في الكتابة [3] . مما جعلها تتسم بأنها كتابة واصفة، يمليها منطق الحكاية والقصة والرواية. وبالتالي خلوه من التحليل والتفسير والتعليل كمقتضيات لنظام البرهان.

3ـ **عنوان الكتاب كتجلي وكشف عن الخاصية السير الذاتية لمضمونه** : عنوان الكتاب وهو "المنقذ من الضلال"، يكشف في ظاهر مبناه عن أنه كتاب في السيرة الذاتية في ثلاثية محطاتها (المنطلق. المسار. الأفق)؛ حيث إن "الضَّلاَل" الذي كرسته المعرفة

التقليدية والحسية هو الدافع النفسي باعتباره منطلقا للبحث. و"المنقذ" هو الحقائق المتوصل إليها بعد رحلة الشك، ونتيجة لحركة تفكير نقدي عميقة وشاملة. واليقين الذي اتسمت به هذه الحقائق، هو الأفق المنشود الذي تطلعت إليه الذات في سيرتها ومسيرتها. وبهذا، يشكل كتاب "المنقذ من الضلال" مدونة للسيرة الفكرية لمؤلفه، والمنهج المتبع في طريق البحث الموضوعي عن الحقيقة. وهذا ما حدا بـ "عبد السلام المسدي" بحصر "البذور الأولى للعناصر والنواة المشكلة السير ذاتية في التراث العربي في أنموذجين، أولهما جاءنا به حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في رائعته "المنقذ من الضلال"، والثاني فيلسوف التاريخ، وواضع علم العمران بن خلدون" [4]

حينما تكون اللحظة المعرفية رائزا لاشعوريا يكشف عن التجربة الروحية والمعاناة النفسية للذات العارفة. وحينما يتحول الكتاب (المنقذ من الضلال) إلى سجل تدوّن فيه الذات العارفة قصتها مع المعرفة، وتروي حيثيات الوقفات والمحطات التي تخللت مسيرتها في درب اكتشاف الحقيقة. وحينما يصبح سؤال الوجود والمصير مرهون ومشروط بإمكانية وقيمة الإجابة عن سؤال المعرفة، كما يوحي بذلك عنوان الكتاب (المنقذ من الضلال)، أي لما يتحول هاجس البحث من الرغبة في إنتاج المعرفة، إلى استثمار هذه المعرفة لتجاوز القلق الوجودي والاهتداء إلى طريق للخلاص...

أجل؛ لما تكون الـ "حينما" في انعطافاتها الثلاث انزياحات من المعرفي إلى الوجودي، يتحول كتاب "المنقذ من الضلال" من كونه نصا معرفيا إلى ضرب من السيرة الذاتية، وقد أراده الغزالي كذلك، فكان له ما أراد. وذاك هو مكمن خصوصيته وفرادته. وهي خصوصية ذات بعدين: فهي أولا؛ سيرة ذاتية تفصح عن تجربة الذات الداخلية في خطها الفكري والروحاني. وهي ثانيا تروي تجربتها الخارجية مع الفلاسفة والباطنية، وعلماء الكلام والصوفية. وقد كان الصراع هو أساس التجربة الباطنية والخارجية لذات المؤلف، ووقود معركته في ساحة المعرفة.

وفي سياق هذا التوجه السير ذاتي لكتاب "المنقذ من الضلال"، والذي افتك خصوصيته وفرادته وتميزه في كونه أرّخ للسيرة والمسيرة الفكرية والعلمية لصاحبه، وحوّل الحقيقة المعرفية إلى واقعة أنطولوجية؛ يعلق أحد الباحثين قائلا: " للغزالي تأليف صغير سماه "المنقذ من الضلال"، ولكنه . بحق . تأليف مهم ورائد في موضوعه. فهو نمط من التأليف غير معهود، بل هو نادر في العصور السابقة. إذ الكتاب عبارة عن سيرة ذاتية، بل عن نوع خاص منها؛ هو السيرة الفكرية... يحكي فيها الغزالي قصته في البحث عن الحقيقة، وكيف انطلق من الشك، وأخذ يدرس تفكير جميع الطوائف دراسة نقد وتمحيص... ثم كيف انقلب شكه يقينا، واهتدى إلى طريق الصواب... وفي ثنايا هذه الحكاية الفريدة من نوعها . حتى في تراثنا الإسلامي . يبسط الغزالي كثيرا من آرائه ونظرياته في طبيعة العقل ومجال عمله وحدوده، وعلاقته بالغيب"[5]

البعد الإشكالي للتوجه السير الذاتي في كتاب "المنقذ من الضلال"

إن ما يميز موضوع "السيرة الذاتية" كما تم تخريجها وإخراجها من قبل الغزالي هو انطواؤها على بعد إشكالي إذ لم تكن السيرة الذاتية في التجربة المعرفية للغزالي سرد لوقائع الحياة الاجتماعية، وليست محض توصيف لمجريات حركته الفكرية ووقائعها المعرفية، أي أنها لم تؤرخ للنشاط المعرفي للمؤلف. بل هي نتاج لسؤال محوري ملح، تبلور في أفق قلق وجودي كاد يفقد الذات وحدتها وتوازنها، وشوش على رؤيتها للمصير الذي كانت تبغي معانقته. قلق ولدته المعرفة السائدة التي رأى الغزالي في التسليم بها مطية للضلال، فانتصب في ذهنه سؤال "المنقذ من الضلال"؟ وإذا كان لا خلاص من الضلال إلا بالمعرفة . وقد كانت المعرفة (السائدة/ الزائفة) سبيلا حتميا إلى ذلك . فما هو معيار المعرفة الحقة؟ وما طرق الوصول إليها؟ وكيف تتحول إلى منقذ من الضلال؟

إن هذا السؤال ينتهي بالتفكير إلى عتبة أفق إشكالي وهو: كيف يؤسس سؤال المعرفة إلى سؤال الوجود؟ أي كيف تكون لحظة اكتشاف الحقيقة طريقا إلى اكتشاف المسار الصحيح للذات لتبيّن وجه الحق؟

فالسيرة الذاتية كما وردت في كتاب "المنقذ من الضلال"، هي نتاج الجدل الوظيفي بين المعرفي والوجودي. والمركب الحاصل من هذا الجدل هو تجاوز مسلمة نقد الحقيقة لتصحيحها وتطويرها، إلى الانطلاق من مستواها المتطور كأرضية لإعادة تشكيل الذات وبنائها.

فالغزالي إذ يخوض معركة الشك مع المعارف السائدة في عصره، ومع مصادر إنتاجها، إنما كان يبتغي من وراء ذلك تخليص ذاته مما كان يقعدها عن بلوغ حالة الاطمئنان. والمعرفة اليقينية هي دليل النفس إلى الهداية.

وكتاب "المنقذ من الضلال" تدوين لهذه الرحلة الفكرية التي بدأت بالمعرفي (نقدا وتمحيصا)، وانتهت إلى الوجودي (اطمئنانا وهداية).

ووجه الأصالة والجدة في خصوصية الطرح الإبستيمولوجي لموضوع "السيرة الذاتية" على مقياس أنموذج الغزالي هو أن المعرفة وأسئلتها ليست موضوعا للتفكير، مطلوبا لذاته، وإنما هي أداة وآلية لتحريك الذات والتدرج بها صعودا إلى أفضل وجوداتها، وأسمى كمالاتها. فلا قيمة ولا وظيفة للمعرفة إن لم تكن موصولة بالاهتداء، ولا سبيل إلى الخلاص من الضَّلال إلا بمعرفة "تنبعث من نور يقذف به الله في القلب" متجاوزة بذلك الإحساس والتقليد.

إن استشكال الحقيقة، والتباس المسالك المؤدية إلى الحق هو مصدر قلق الذات وعلة تأزمها. وحول التفكير في المآزق والبحث عن المخارج؛ كُتب "المنقذ من الضلال" ليروي الحكاية، حكاية

ما قاسته الذات المتأزمة في سبيل ذلك.

ومن هذا المنطلق يتجه مقصدنا إلى الوقوف على حيثيات الحكاية لاستجلاء ملامح التوجه السير ذاتي للكاتب، على سبيل الاجتهاد من خلال قراءة متواضعة لكتابه "المنقذ من الضلال ".

لقد ألف الغزالي كتابه "المنقذ من الضلال" بناء على رغبة أخ له في الدين أن يفيده مما خبره من "غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها"[6]. وكانت الإفادة في صورة حكاية تلخص مضمون الخبرة ووقائع التجربة؛ تجربة ما قساه في سبيل الوصول إلى الحق بين اضطراب الفرق، وتباين المسالك والطرق، تفصح عنها سلسلة الأفعال التي أملاها منطق الكتابة، واقتضاها سياق التعبير، من قبيل: "وأحكي لك ما قسيته.. وما استجرأت عليه.. وما استفدته.. وما احتويته.. وما ازدريته.. وما ارتضيته.. وما انجلى.. وما صرفني.. وما ردني... فهناك زمنيين تتضمنهما هذه الأفعال: زمن الحاضر الذي يتحدد بالفعل "أحكي". وزمن الماضي والذي تمثله الأفعال السالفة الذكر كمكونات بنيوية للحكاية ومفردات دالة على حيثياتها. وبين الزمنيين تمتد مسافة ما يقارب الثلاثين سنة، وهو ما يؤشر على أن الكتاب أُلّف بعد الخمسين من عمرة كما يقول هو نفسه: "ولم أزل في عنفوان شبابي وريعان عمري منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد آناف السن على الخمسين"[7]. وهي المسافة التي تشكلت وتبلورت عبر لحظاتها ومحطاتها التجربة الفكرية والمعرفية للمؤلف، وما تركته من أثر في نفسيته، وفي صقل وتوجيه شخصيته وبناء رؤيته، وترتيب أفعاله وتحديد أدواره. ومن ثم فـ"المنقذ من الضلال" مدونة لسرد وتوصيف لحال الذات العارفة في تاريخ صراعها مع المعرفة، مما يفيد أنه ليس "مذهبا فلسفيا، ولا نظرية مجردة، وإنما هو حكاية حال الغزالي نفسه"[8].

تأسيسا على ما سبق، يتبين أن السيرة الذاتية للغزالي بما هي محصلة لتلك السلسلة من الأفعال الواصفة للأحوال، إنما تكشف عن وجود حركة عقلية نقدية[9]، تتوسط ثنائيات متقابلة، متجاوزة المعطى والمتاح من المعارف والعلوم في زيفه وفساده، متطلعة إلى ما يضاده ويناقضه في وضوحه ويقينه: فمن اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق، إلى استخلاص الحق. ومن حضيض التقليد إلى إيفاع الاستبصار [10] ...

هذه الثنائيات المحركة لتفكير الغزالي أنتجها الوضع الفكري والثقافي السائد في زمانه، حيث اتسم باضطراب الفرق، واختلاف المذاهب، وتباين الملل، فشبه ذلك ببحر غرق فيه الأكثرون، فأراد أن يدخله ويغوص في أعماقه غوص المغامر المصطاد للأباطيل، والمتتبع لخيوط الحق وكشف الأضاليل. وقد أفصح عن ذلك قائلا: "أقتحم لجّة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لا أميّز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع. لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على باطنيته. ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته. ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته. ولا متكلما إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته. ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته. ولا زنديقا معطلا إلا وأتحمس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته"[11].

يتبين من خلال هذا النص أن الغزالي قد انتدب نفسه لمهمة جليلة هي استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق وتباين المسالك والطرق. وهي مهمة ترقى به إلى مصاف المفكر الثائر، بكل ما يحمله الحس الثوري من معاني التمرد والشك والنقد والرفض والقطيعة مع كل ما هو سائد وموروث من الأفكار والمعتقدات، وما يؤسسها من مصادر ومرجعيات. ومنطق الثورة وفقا للمهمة التي استنهض الغزالي همته وإرادته للقيام بها، يرتكز على آليتي الهدم والبناء: الهدم ويتمثل في انكسار رابطة التقليد، والبناء يتحدد بالتطلع إلى الإصلاح والتجديد. "ليكون المفكر الثائر هو المصلح المجدد الذي كان هدفه الأساسي هو الإصلاح الديني عبر هدم كل ما يناقضه من الآراء السابقة" [12].

"المنقذ من الضلال" .. أو حركة الكتابة في درب السيرة الذاتية

إن البحث عن الحقيقة هو الهاجس الذي أرّق الإمام الغزالي، فاختاره مسارا لحياته. وقد كان الشك هو نقطة الانطلاق لهذه المسار. وإذا كان لكل منطلق أفق ينتهي إليه، وبعد كل نقطة انطلاق محطة وصول، فإن "الحق" هو الأفق وهو محطة الوصول. والغزالي بعد ما شق هذا المسار وقطع تلك الرحلة، ووصل، قرر الكتابة ووصف ما حصل. والوصف هو العتبة الفارقة والمسافة الفاصلة بين المعرفة والذات العارفة: فممارسة المعرفة تفكير وتدبير، والعودة إلى فصول وتفاصيل هذه الممارسة.. تبعاتها.. تأثيراتها.. وتجلياتها، وصف وتذكير. وعند أفق هذه اللحظة الوجودية؛ لحظة استعادة الذات واستدعائها لتجربتها مع المعرفة، تتحول إلى ذات عارفة واصفة. والوصف يستبطن معنى القصة والرواية. وحديث الذات عن تجربتها؛ بل قصتها مع المعرفة، هو القول الشارح . بلغة المنطق . لما يسمى بـ "السيرة الذاتية" على سبيل القرابة والاقتراب الدلالي والمفهومي لحدها وتحديدها. فالسيرة الذاتية هي فن القول المعبر عن سلسلة الأفعال المعرفية والحركات الفكرية التي هي عين مسيرة الذات المفكرة/ الفاعلة. ومن هنا فإن جدل العلاقة بين "المسيرة" و"السيرة"، هو من قبيل المقابلة بين الفعل الذي تجري وقائعه في المكان والزمان، والقول الذي يسرد مفردات هذه الوقائع بعدما ينزل صداها إلى قاع الوجدان حيث تفتك الكتابة عن السيرة الذاتية بعدها الفني، من منطلق أن الفنان هو الذي يملك سلطة القول عن الأصداء والتجارب التي يتلقاها الوجدان.

وحينما أراد الغزالي أن يجعل من كتابه "المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال" بيت أرشيف للحفظ والاحتفاظ بالصور والمشاهد الي تخللت مسار رحلته العقلية، كان على وجه الأصالة والتميز كتابا في "السيرة الذاتية"، يروي "قصة عقل" في إخراجها وتخريجها ومسحتها الغزالية على سبيل السبق والاختلاف عن مثيلتها التي روى تفاصيلها زكي نجيب محمود. فهو إذ «يكتب كتابه "المنقذ من الضلال" يصف فيه سيرته العقلية، وكيف وصل أخيرا إلى الحق. ويذهب الأوروبيون إلى تسمية كتابه "المنقذ من الضلال" بـ "اعترافات الغزالي". وفي هذه التسمية إشارة واضحة المعالم لفن السيرة الذاتية في هذا الكتاب الرائد، الذي يفتتحه بأن بعض إخوانه سأله أن يشرح كيف ارتفع من حضيض التقليد إلى قمم الاستبصار وتحصيل العلم اليقيني. وهو افتتاح يؤكد "الوظيفة" التي خلقت "السيرة الذاتية" عند الغزالي»[13].

هذا القول تأكيد صريح على أن "المنقذ من الضلال" كتاب في السيرة الذاتية، يبيّن ملامحها ويصف خصائصها. وصف فيه الغزالي سيرته العقلية. ولمّا كان الوصف مرتبط برحلة فكرية يحكمها أفق، فقد بيّن "كيف وصل أخيرا إلى الحق". وإذا كانت السيرة من قبيل "القول الشارح" . كما سبقت الإشارة إلى ذلك . فإن الغزالي شرح لسائله كيف تخلص من سلطان الموروث(المزيف) ووصل إلى "قمم الاستبصار وتحصيل العلم اليقيني". وبهذا الإيضاح والإفصاح يكشف عن الغاية من تأليفه للكتاب، وهي تفعيل وظيفة السيرة الذاتية؛ والمتمثلة لديه في التأكيد على التمسك بمبدأ الحرية كخاصية وجودية، وفعل التحرر كآلية دفاعية وقائية ضد سلطة التقليد، وأداة إبستيمولوجية لبلورة الحاسة النقدية، ومن ثم القدرة على تجاوز المعطى والموجود لتفنيده، لتحقيق الجديد والتجديد وتأصيله. وبالفعل؛ فإننا حينما نرجع إلى "المنقذ من الضلال"، ونقف على مضامينه، نكتشف ما يكرس أهمية السيرة الذاتية ووظيفتها. فهو يؤسس لقيمة وفعالية "الثورة" في مجال تجديد الفكر وإعادة بناء المعرفة، والتي لا سبيل إلى الحرية ولا إمكانية للتحرر إلا بها. ولذلك فجّر حسه النقدي التجاوزي لكل ما يرتبط بالتقليد والاستخفاف به والاستعلاء عليه. ومن ثمة التحرر منه وتحقيق شرط الحرية للإضافة والإبداع.

وبهذا المعنى يمكن فهم ظاهرة الغزالي المجدد. على رأس كل قرن يأتي من يجدد للأمة أحوالها بناء على وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس المائة [14] . كما يؤكد على ذلك الحديث الشريف الذي نصه: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس مائة سنة من يجدد لها دينها".

إذا كانت مسيرة البحث عن الحقيقة مرتبطة بالفعل؛ فعل المعرفة، "فإنه لابد أن يعود [الباحث] إلى نفسه بعد الفعل... وحينما يستطيع الكاتب أن يعود إلى ذاته؛ يصبح من الميسور أن يتفرغ لكتابة سيرته الذاتية" [15].

لابد أن تعود الذات العارفة إلى ذاتها لكي تستبطن تجربتها وتروي سيرتها. فالعودة شكل من أشكال التوحد، وضرب من النزوع الصوفي. والسيرة لا تكتب إلا في هذا المناخ الوجداني، إذ هي "تعبير عن الوحدة، والعزلة والانطواء، والتأمل والاستبطان والتفكير العقلي، والضمير، والوعي الفردي..." [16] . فكاتب السيرة الذاتية يشعر شعور المتصوف المنطوي على ذاته. "وحينما يستطيع أن يعود إلى ذاته؛ يصبح من الميسور أن يتفرغ لكتابة سيرته الذاتية" [17]

الأزمة النفسية كدافع لكتابة السيرة الذاتية

صرح الغزالي في منقذه أن الشك في المعارف الموجودة انتهى به إلى المرض لمدة شهرين، وبما أن المرض قد طال الذات في جانبها النفسي، فإن ذلك يدل على حالة أزمة نفسية؛ كانت بمثابة الأساس الذي بني عليه مضمون السيرة الذاتية التي شرع الغزالي في تدوينها بعد سن الخمسين. وإذا كانت الأزمة النفسية التي ولّدها الشك؛ هي الأساس والمنطلق للحيثيات والمواقف والوقائع التي تضمنتها مدونة السيرة الذاتية (المنقذ من الضلال)؛ فإن الهاجس المعرفي وإشكالية اليقين المرتبطة به؛ هو أفقها ومنتهاها (أي مسار ومسيرة رحلته البحثية بما هو موضوع السيرة الذاتية). و" لفهم طبيعة وأهمية هذه الأزمة في الجانب الفكري والعلمي من حياة الغزالي، يجب أن نتذكر أنه في نهاية تحليل إبستيمولوجي لوسائل المعرفة التي وجد الغزالي نفسه حيالها في طريق مسدود. بدأ يشك في هذه الحقيقة وفي قدرة العقل في بلوغ اليقين بها، ومن ثم البحث عن ملكة أخرى ما وراء العقل قادرة على تجاوز نقص العقل وإنكار أحكامه وتصوراته. كما فعل بعد قرون الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط.

وتجدر الإشارة إلى أن شك الغزالي، هنا، منهجي بنائي، لم يستهدف الحقيقة المتعالية في ذاتها، ولم يمس إيمانه، لكنه شك في قدرات العقل على إدراكها، أي الشك في وسائلها. وهذا ما تنبه إليه قنواتي مؤكدا أن "الشكوك التي يمر بها لم تكن تستهدف إيمانه، ولكن قدرة العقل على مواجهة هذا الايمان"[18].

نفيد مما سبق؛ أن الغزالي إذ يكتب عن تاريخه الشخصي وأحواله الذاتية، ومسيرة حياته بالمفهوم والوظيفة السير ذاتية للكتابة، فإن كتابته لم تكن سردا متواصلا عن حياته الماضية في أحوالها النفسية وأوضاعها الاجتماعية، ولم تكن استعراضا وعرضا للحوادث التي تعرض لها، بل كانت تدوينا لتفاصيل معاناته النفسية وتجربته الروحية وصراعه الفكري الذي أثاره سؤال الحقيقة ومشكلة اليقين المتصلة بها، على سبيل الحصر والتخصيص. وهو ما يكشف عن لجوء الغزالي إلى تغييب وإسقاط الإحداثية التاريخية في إخراجه وتخريجه لسيرته الذاتية، وبنائها على أساس نفسي، ولذلك، فهو في المنقذ من الضلال، "يرسم من البداية ملامح الصورة النفسية الخاصة لها. وفي ذلك إشارة قوية لاستبعاد الانشغال التاريخي في المقام الأول" [19] . وهو ما يفيد أن الغزالي في تأليفه في فن السيرة الذاتية استند

إلى قاعدة الحضور والغياب؛ فحضور البعد النفسي أزاح وغيّب المعطى التاريخي من فعل الكتابة والتدوين السير ذاتي. وقوام البعد النفسي ومبدؤه هو "الشك": فإذا كان محتوى السيرة الذاتية كما تضمنها كتابه "المنقذ من الضلال" هو مراحل ومحطات مسيرته الفكرية المشدودة إلى أفق البحث عن اليقين، فإن منطلق هذه المسيرة هو الشك/ المقدمات النفسية.

والغزالي إذ يركز على البعد النفسي الذي يستدعيه مبدأ الشك على حساب المقتضى التاريخي، إنما يمارس، بذلك، شكلا من أشكال الاصطفاء والانتقاء في الكتابة السير ذاتية، مما جعله يهتم بالجانب الفكري من حياته، والمتمثل في معركته مع الفرق والمذاهب فيما يتصل بسؤال الحقيقة، وإشكالية اليقين. و"بفضل سيرة حياته الانتقائية الموسومة بـ "المنقذ من الضلال"، استخدم الغزالي مقاربة منهجية وتربوية لإثبات زيف وبطلان المعتقدات التي شكلت في عصرة، الانشغال الأساسي لـ "الكلام" و"الفلسفة"[20].

ما يمكن استخلاصه من هذا البعد النفسي الذي كان أساسا للسيرة الذاتية كما أخرجها الغزالي، هو أنها تنتمي إلى ما يعرف بفن الأزمة. فهي تولد بعد أزمة يعيشها صاحبها. وهي بمثابة شرارة التفاعل التي تعطي للكتابة هويتها، وملامحها الخاصة. ومن هنا فـ "المنقذ من الضلال" ولد بعد أزمة فكرية عاشها الغزالي، "ألفه في أواخر أيامه بعد عزلة دامت عشر سنوات، سلك فيها طريقة الصوفية"[21]. وما يعبر عن فن الأزمة في ارتباطها بالسيرة هو لجوء الغزالي إلى التصوف كسبيل إلى الخروج منها. فالشك حينما انتهى به إلى الحكم على كل المعارف المتاحة، ومرجعياتها المؤسسة لها بأنها زائفة ومضللة، وبالتالي انسداد أفق اليقين أمامه؛ أمرضه. فإن التصوف أخرجه من بحر الضلال ورسا بسفينة بحثه على شاطئ اليقين فشفاه.

إن نزوع الغزالي إلى التصوف، لم يكن نتيجة لحسه الديني المتنامي، بل فرضته حالة الشك المرتبط بسؤال الحقيقة. والتصوف عند هذا الأفق يتحدد بكونه استراتيجية معرفية، وآلية منهجية لتلمس الإجابة عن سؤال الحقيقة. فإعادة تأسيس الحقيقة يتطلب جو نفسي هادئ، وصفاء الذهن وطول التأمل، وتحقيق وحدة الذات واستجماع شتاتها الذي يسببه ارتباطها بالأنا السطحي في مفهومه البرجسوني. وهذا الجو المعرفي والشرط البحثي لا يوفره إلا المناخ الصوفي. ومن هنا فتصوف الغزالي مكنه من القدرة على التفكير الفلسفي الحر، والتأمل العقلي العميق الذي لا يتاح مثله لمن يفكر وهو رهن محابس الماديات والشهوات.

ومن هنا شكلت تجربة الغزالي الصوفية تجاوزا لمنظومة ثقافية ومعرفية تقليدية (بيئية وأسرية) مرورا بلحظة عقلية وفلسفية وصولا إلى أفق الأذواق والمكاشفات.

وما يدفع إلى الاعتقاد أن تصوف الغزالي لم يكن نتيجة لحس ديني، هو أنه لم يكن متصوفا في المرحلة الأولى من حياته، رغم أن أباه وأخيه وعمه، والوصي عليه، وأستاذه الفارمدي والجويني، كلهم متصوفة، وكذا الوزير نظام الملك كان محبا للصوفية.

وهو ما يفيد أن التقليد لم يكن آلية فاعلة في البنية الفكرية والنفسية والدينية للغزالي، أو على الأقل أن شخصيته لم تكن مجبولة على التقليد، وهو ما يكشف من جهة ثانية عن وجود الحاسة النقدية لديه على سبيل القوة والاستعداد. وربما لو تمكّن التقليد من نفسه في مرحلة الطفولة والشباب، بحيث يسلك في معتقداته وتصرفاته مسلكا صوفيا، لما وقع في الضلال وفكر في المنقذ منه، ولكان شكه شكا مذهبيا، يقتل فيه روح النقد ويؤصل فيه آفة الانتقاد، ولما أقبل على الفلسفة وعلومها. فالموقف من التقليد هو العتبة الفارقة بين الاستسلام لسلطته والثورة عليه.

ومن هنا يتبين أن السيرة الذاتية للغزالي بما تستبطنه من صفات عقلية كالتعطش لإدراك حقائق الأمور، عمق الحاسة النقدية... تعكس النزوع إلى الثورة من أجل التحرر. والثورة يولدها الشك، والتحرر يتحقق ببلوغ اليقين. ومن هنا تبدو الذات المعنية بالسيرة الذاتية، ذاتا ثائرة متحررة. أظهر صاحبها نفسه على أنه البطل المنتصر في معركة المعرفة التي شكل "التقليد" و"علم الكلام" و"الفلسفة"، و"الباطنية" أعداءها المفترضين في لحظة الشك. وأكد صحة الافتراض المختبر الصوفي الذي احتكم إليه أخيرا. وحينما لجأ الغزالي إلى استعراض حيثيات ووقائع هذه المعركة في منقذه، وجد نفسه يؤرخ لحياته الفكرية. ولذلك "اضطر لذكر حكاية الشك واليقين ليجعلها كمقدمة لتأريخه حياته التأريخ الفكري" [22].

وتأسيسا على ذلك، تبدو السيرة الذاتية للغزالي سيرة فلسفية على وجه الأصالة والتميز، حيث "سار في دراسة ومجادلة المذاهب الفكرية، سيرة فلسفية حرة، ولذلك شك في كل شيء"[23] وتمرد على السائد والموروث بمنطق الفيلسوف المتحرر الذي رفض الاعتراف به وطعن فيه. ومن مفردات هذا المنطق انكسار رابطة التقليد، عدم تقبل المعرفة المبنية على مبدأ التسليم، الشك في مصادرها، وتمسكه بمبدأ النقد، واتباعه أسلوب الجدل والبرهان. ومن ثم السعي إلى إدراك حقائق الأمور... فهذه المفردات كلها خصائص للروح الفلسفية، تحلى بها الغزالي وتمثلها في تفكيره، مما يجعله يستحق صفة الفيلسوف، ولذلك تجد نفسك بعد دراسة منقذه "تؤمن بأنه كان رجل الفكر الحر الذي لا يؤمن إلا بالضروريات، فأطرح وراءه ظهريا كلام المتكلمين، وازدرى تعاليم الباطنيين، وسفه نظريات المتفلسفين، وأخيرا دخل في زمرة الصوفيين [24] .. لكن هذا التوجه الفلسفي للبحث عن الحقيقة الذي يفترض به أن يجد في العقل سندا لإدراكها، انتهي به إلى خلاف ذلك، حيث ظهر له "أن العلم اليقيني: هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم"[25]. فاليقين

الذي كان الغزالي يتطلع إلى أفقه؛ هو في مفهومه وطبيعته أسمى وأبعد من أن تحيط به قوة التعقل. إذ "لم يكن ذلك بنظم دليل، وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف[26]. فإذا كان الشك الفلسفي هو أساس البحث ومنطلقه، فإن اليقين الصوفي هو منتهاه ومقصده. وهكذا يلتقي الفلسفي [ابتداء] مع الصوفي [انتهاء] في شخص الغزالي الباحث.

وبما أن السيرة الفلسفية سيرة عقلية في جوهرها، فالعقل لا يتحرك. تفكيرا وتدبيرا. إلا في خط تحرري، وبالنسبة للغزالي، فإن "الاضطرار" هو أساس التحرر. وهو نقيضه. والدافع إليه؛ أي الاضطرار إلى معرفة الحقيقة. "فهو قد وجد نفسه اضطرارا لا اختيارا متعطشا إلى درك الحقائق"[1]. التحرر من التقليد والتطلع إلى التجديد، وبينهما يتوسط العقل وساطة نقد وتأسيس؛ للطرف الأول متجاوزا (التقليد)، وللطرف الثاني مؤصلا. فالتقليد ينتج شخصية قاعدية مشدودة إلى المعطى والموروث، تكرس التلقي والتكرار، وإعادة إنتاج ما أنتج، فتطغى سلطة المنقول على منطق المعقول. و"عندما رأى كل هذا انحلت عنه رابطة التقليد، وتكسرت عليه العقائد الموروثة...وتحرك باطنه إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية، وإلى معرفة حقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين، وإلى التمييز بين هذه التقليدات التي أوائلها تلقينات" [27]

ومن هنا يظهر أن نشأته الدينية المبنية على التلقي والتسليم كلازمتين منطقيتين للمعرفة النقلية، قد اصطمت وتصادمت مع معارف عقلية متنوعة، طعنت في المتلقى وخلخلت مبدأ التسليم، فوجد نفسه في دائرة الصراع بين المنقول والمعقول. والصراع على هذا المستوى المعرفي تحول إلى قلق نفسي على المستوى الوجودي. "امتد القلق إلى ذهن الغزالي وهو يشهد الصراع في العقائد قبل تصوفه. وكانت عنايته موجهة، تبعا لمنهجه، إلى المتكلمين والفلاسفة، ومن ثم الباطنية" [28].

إن المسيرة الفكرية والمعرفية للغزالي عرفت ثلاث محطات، وهي نفسها مراحل تطور السيرة الذاتية: مرحلة التلقي والتسليم/ أو النشأة الدينية. مرحلة الشك والنقد/ أو التفكير العقلي حول سؤال الحقيقة. مرحلة تثبيت سلطان الدين/ أو التصوف كمرجعية لليقين.

واللافت للنظر، هنا، أن التربية الدينية التي تلقاها في بداية حياته، والتسليم بالتصوف الذي انتهى إليه كمرجعية للحقيقة وطريق إلى الحق، لم يمنعاه من الاستمرار في ممارسة تفكيره النقدي، حيث لم يستسلم عقله لتلك المرجعيات، ولم يقبل بحقائقها علي سبيل التلقي والتسليم دون إخضاعها لمصفاة النقد والتمحيص. ومن ثم فوظيفة العقل لديه نقدية بالأساس، وليست معرفية، ولذلك كان موقفه من معارف وعلوم عصره موقفا إبستيمولوجيا على وجه الأصالة والتميز. وقد تجلى هذا الموقف بوضوح في كل العلوم والمعارف التي تلقاها واطلع عليها. فلحظة "التقليد" جسدت التصادم بين العقل والنقل. لحظة الفلسفة تمثلت في مواجهة العقل لذاته. ولحظة التصوف تواجه العقل فيها مع نقيضه، وهو اللاعقل/ الإشراق.

لكن المعركة التي خاضها عقله الناقد مع المعارف والمرجعيات المختلفة، ليست بغرض رفضها وإقصائها، بل مراجعتها وإعادة تأسيسها بكيفية يكون العقلاني فيها متوائما وموافقا لما هو ديني على الطريقة الأشعرية. ولذلك ما لبث أن يرفض حقيقة إلا ليتبناها على طريقته.

رفض التقليد، وانتهى مقلدا للتصوف. ونقد علم الكلام وقد بلغ في جدله وحجاجه مبلغ المتكلم المفحم لآراء الخصوم. ازدرى الفلسفة وأبطل حقائقها وكفّر متعاطيها. وقد كان الباحث عن الحق بأدوات الفلسفة نفسها: من تساؤل وشك ونقد... فكان فيلسوفا في طريقة تفكيره قياسا على أن الفلسفة هي التفكير في المعرفة، وليست المعرفة ذاتها. ومن هنا يتبين أن الغزالي لم يكن رفضه طريقا للإقصاء، ولا نقده سبيلا إلى الهدم، ولا شكه مطية إلى الجحود، فلم يرفض إلا ليعيد التأسيس، ولم ينقد إلا ليبني، ولم يشك إلا ليتيقن... فكان حصيلة ذلك أن استقبل الكل المختلف والمتناقض من الفرق والعقائد والأفكار، ليحول المختلف إلى موحّد، والمتناقض إلى منسجم، فتآلف الفقهي والصوفي والفلسفي والكلامي... في تفكيره، ف "كان فيلسوفا، وفقيها، أصوليا، وعالما جليلا؛ صوفي النزعة، سلك طريق الشافعي في الفقه؛ وأكمل ما أبداه الأشعري في مذهبه الكلامي. وكانت له شخصية متميزة بين الفلاسفة والفقهاء وعلماء الأصول والصوفية، والمتكلمين، مما أكسبه بقاء في ذهن كل مريد للفلسفة، أو الفقه، أو علم الكلام، على مدى تسعة قرون تقريبا"[29].

نفيد من ذلك أن السيرة الذاتية للغزالي يميزها جدل المتناقضات. كما تتميز بأنها ضرب من التأريخ للحقيقة. فهو إذ يصف ويصور مسيرة حياته الفكرية وحصيلة تجاربه المعرفية، إنما يمارس فعل التأريخ للحقيقة عبر صيرورتها وتعاقب لحظاتها ومحطاتها بدءً من الثورة على التقليد وانتهاء بالاهتداء إلى التصوف. وباستعارتنا لرؤية "فوكو ياما" لحركة التاريخ، يمكن القول إن التصوف يشكل أفق ونهاية تاريخ الحقيقة على مستوى الوعي الذاتي الفردي؛ على مستوى تفكير الغزالي: فتاريخ الحقيقة بدأ مع انكسار رابطة التقليد وانتهى بتثبيت مرجعية التصوف. ومحركه هو جدل المتناقضات (التقليد= التجديد/ الشك= اليقين/ الإيمان= البرهان...) في إخراجه الهيجيلي. ويعكسه بوضوح البناء المنهجي والمعرفي لكتاب المنقذ من الضلال، حيث يبدوا مؤلفه من خلاله أنه مؤرخ للحقيقة بقدر ما هو مدون لسيرته الذاتية/الفكرية. "وربما من أجل ذلك قال الناقد الإنجليزي الدكتور "جونسون" عن السيرة الذاتية، إن الذي يكتب عن حياته؛ عنده أول مؤهل من مؤهلات المؤرخ، وهذا المؤهل هو معرفة الحق" [30].

الهوية الصوفية للسيرة الذاتية بما هي مسيرة فكرية

إن الغزالي إذ يصف في كتابه "المنقذ من الضلال" ما أحاط به من شك، وما كابده من مشقة في استخلاص الحق، ومن اضطراب الفرق، وما اهتدى إليه وما ارتضاه لنفسه من تصوف. وما صرفه عن نشر العلم ببغداد، ثم ما حمله على ترك عزلته لمعاودة نشر العلم في نيسابور، فهو بذلك يدوّن سيرته الذاتية، بالمقياس المفهومي والوظيفي لحقيقة وجوهر السيرة الذاتية. والسيرة الذاتية نتاج لمسيرة الذات خلال مسارها . وهي لدى الغزالي الطريقة التي سار عليها للوصول إلى الحقيقة . نحو النجاة والخلاص. ولذلك، فإن المعرفي في المسيرة البحثية والفكرية للغزالي يؤسس للأنطولوجي، إي أنه اتخذ من المعرفة ومصادرها استراتيجية لخلاص وتخليص ذاته من سلطة وسلطان الأوهام التي كرسها "التقليد"، ومن شيطان الضلال الذي اعترض طريقه نحو الهداية والإيمان.

وإذا كانت المسيرة الفكرية للغزالي تتمحور حول السبيل المخلص من الأوهام، والمنقذ من الضلال؛ فإن التصوف هو المنقذ من الضلال، وهو منتهى وأفق المسيرة، بعدما كان الضلال مبدؤها ومنطلقها. وهو الدواء الشافي من داء التقليد. ومن هنا فإن كتاب المنقذ من الضلال "إنما هو حكاية حال الغزالي نفسه، كيف انحلت عنه رابطة التقليد، و كيف استولى عليه الشك، و كيف استشفى في النهاية بأدوية التصوف"[31]. ومن هنا تتبيّن ملامح الهوية الصوفية للسيرة الذاتية كما دوّنها وأرادها الغزالي. فالنفس اللوامة والمرتابة والقلقة استحالت نفسا مطمئنة نورانية بسطوع الأنوار الصوفية على دواخلها. ليكون الغزالي المتصوف هو "الأنا العميق" الموجه لـ "الأنا السطحي" الذي يمثله الغزالي الفقيه والمتكلم والفيلسوف.

فالسيرة الذاتية في التوجه المنهجي والتقليد الفكري الذي أسسه ورسخ أبجدياته الغزالي ارتبطت بالتصوف وتمفصلت معه. ولذلك؛ فإن المفكرين الغربيين إذ يسمون كتاب "المنقذ من الضلال" بـ "اعترافات الغزالي"، فهم يشيرون ويحيلون إلى النزوع والتوجه الصوفي في السيرة الذاتية بما هي ضرب من الاعترافات. وتاريخيا؛ "ارتبطت الاعترافات في الأدب العربي القديم بكلام الصوفية، ونجد ذلك على سبيل المثال ، في كتاب المنقذ من الضلال للغزالي ، والصوفي « ينقل لنا تجربة ذاتية تتصل بعالم غير مألوف لنا ، في لحظات فورية فجائية يخرج فيها عن شعوره الواعي ، محلقاً بعيداً عن عالمنا الأرضي إلى عالم سماوي ، ثم لا يلبث وعيه أن يرتد إليه فيصور مواجيده ، وما شاهده في تجربته الكشفية تصويراً صادقاً"[32].

خاتمة

يستفاد من التحليل السابق أن التدرج المعرفي والعلمي للغزالي في مسار بحثه عن الحقيقة، هو في الوقت نفسه تدرج في تشكّل ذاته واستكمال بنائها، واستجماع الصفات والقيم التي تجعل منها، بحق، ذاتا عارفة متطلعة إلى الحق، مستوفية للوسائل والطرائق المؤدية إلى ذلك: فهو الباحث عن الحقيقة بكل ما تقتضيه كفاءة البحث، وبما توفر فيه من مستلزماتها: كالشك والنقد والتساؤل... وهو المفكر الثائر ضد التقليد، والمتحرر من المرجعيات والإيديولوجيات التي كرستها ثقافة وظروف عصره. ولما كانت كل ثورة ضد السائد والموروث، هي ثورة من أجل النهضة والتجديد، فقد كان الغزالي الثائر مفكرا مجددا من خلال الثورة الإبستيمولوجية التي أحدثها في مسالك المعرفة وطرائق البحث، ومنظومة التصورات والرؤى الفكرية السائدة في عصره؛ الوافد منها والموروث.

وكمحصلة ذلك كله، وإذا جاز لنا نلخص هذه الملامح والسمات في صفة جامعة، يمكننا القول إن الغزالي كان فيلسوفا "نابتا"، حيث تدل الأحداث الاجتماعية والسياسية والثقافية، وكذا مواقفه وقناعته التي تخللت مسيرة حياته، أنه "نابتة" عصره في طريقة تفكيره ومذهب اعتقاده. فهو بتوصيف الفارابي لمفهوم "النابت "كالشوك في بستان الورود" في نظر خصومه ومعارضيه. وبتحديد بن باجة له . أي النابت . فهو كالورد في بستان الشوك، بالنسبة لأنصاره ومريديه.

الهوامش

1- F. Jabre : La Notion de Certitude selon al Ghazali, dans ses origines psychologiques et historiques, Librairie philosophique J. Vrin, Paris 1958, p. 47.

2- عبد الأمير الأعصم، "الفيلسوف الغزالي"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص:63.

3- تقديم أحمد شمس الدين لـ "مجموعة رسائل الإمام الغزالي"(المنقذ من الضلال). دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1988، ص: 12.

4- عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، دار الطليعة بيروت، ط1، 1983، ص: 114.

5- إلياس بلكا: "الغيب والعقل"، دراسة في حدود المعرفة البشرية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية، ط 1، 2008، ص: 71. 72.

6- أبو حامد الغزالي: "المنقذ من الضلال: تحقيق وتعليق عبدالكريم المراق. الدار التونسية للنشر 1984. (د. ط) ص: 22.

7- أبو حامد الغزالي: المصدر السابق، ص: 25.

8- مقدمة جميل صليبا في تحقيقه لكتاب "المنقذ من الضلال". دار الأندلس للطباعة والنشر. بيروت، 1967. ط:7. ص:23.

9- M. Bouyges : Essai de chronologie des œuvres d'al Gazali, Institut des Lettres orientales, Beyrouth 1959, T.XIV, p. 18.

10- أبو حامد الغزالي: المصدر السابق. ص: 22.

11- أبو حامد الغزالي: "المنقذ من الضلال"، ص:25. 26.

12- أحمد شمس الدين: "مجموعة رسائل الإمام الغزالي"(المنقذ من الضلال). دار مرجع سابق، ص: 12.

13- عبد العزيز شرف: "أدب السيرة الذاتية". الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان 1992. (د. ط) ص: 103.

14- أبو حامد الغزالي: "المنقذ من الضلال". مصدر سابق. ص: 104.

15- عبد العزيز شرف: "أدب السيرة الذاتية". مرجع سابق.: ص: 12

16- عبد العزيز شرف: المرجع نفسه.: ص: 7.

17- عبد العزيز شرف: المرجع نفسه.: ص: 12.

18- G. C. Kanawati et L. Gardet : Mystique musulmane, Vrin, 3e

édition, Paris 1976, p. 49.

19- Saliou Ndiaye :Al Ghazali et ses omissions dans son autobiographie. Revue Annales du patrimoine.

N° 13 / 2013. Revue académique de l'université de Mostaganem Algérie. P. 86.

20- ibid : p. 85.

21- أحمد شمس الدين: "مجموعة رسائل الغزالي"، مصدر سابق، ص: 12.

22- عبد الدايم أبو العطا البقري الأنصاري: "إعترافات الغزالي""، دار النهضة العربية، القاهرة، 1971،: ص 61.

23- المرجع نفسه، ص: 61.

24- المرجع نفسه، ص: 61.

25- أبو حامد الغزالي: "المنقذ من الضلال"، مصدر سابق، ص: 27

26- أبو حامد الغزالي: المصدر نفسه، ص: 32.

27- أبو حامد الغزالي: نفس المصدر السابق. ص 26.

28- عبد الأمير الأعصم، . الفيلسوف الغزالي، مرجع سابق، ص:67.

29- عبد الأمير الأعصم: "الفيلسوف الغزالي"، مرجع سابق، ص: 30.

30- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية" مرجع سابق، ص 14

31- جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط:I 1970،، ص:393.

32- يحي عبد الدايم: "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1974، ص 14 .